

## الكشوفات الجغرافية عند المسلمين وأثرها في تطوير الفكر الجغرافي الأوربي

أ.د. كفاح صالح الأسدي / كلية الآداب / جامعة الكوفة / قسم الجغرافية

### المقدمة:

كان للجهود المضنية التي قام بها العديد من العلماء المسلمين في مجال الكشوفات الجغرافية غنية بالبيانات والمعلومات اسهمت في تطور النهضة الجغرافية فكان لرحلاتهم في أرجاء الكرة الأرضية والتعرف على مظاهرها الطبيعية والبشرية الدور الفاعل في النهضة الجغرافية وتدوين كل ما يشاهدونه ويزورونه وتعرفهم على عادات وتقالي سكان كل منطقة يشاهدونها وكان ذلك هو الطابع المميز للدراسات الجغرافية عند المسلمين .

وقد اكتشف المسلمون عن طريق أساطيلهم التجارية التي كانت تُبحر من ميناء عدن إلى ميناء كانتون بالصين أن بحر الصين يتصل بالمحيط الهندي، كما اكتشفوا بحيرة (آرال) شمالي شرق قزوين، فوَضِعَتْ لأول مرة على الخرائط المأمونية في عهد المأمون باسم (بحيرة خوارزم). وقد زار " البيروني" (ت 440هـ/ 1048م) سيبيريا الشرقية، وكان أول من سَمَّى نهر أنجارا (الواقع شمال غرب بحيرة بيكال شرقي سيبيريا). كما أنه عاش في الهند قُرابة عشرين عامًا؛ فأبدع في وصفها بما لم يسبقه إليه أحد، وذلك في كتابه (ما للهند من مقولة).

لقد عرف المسلمون أوروبا رغم تخلفها وخمولها الحضاري في ذلك الوقت؛ ففي عام (308هـ/ 921م) ذهب "ابن فضلان" رسولاً من قبل الخليفة العباسي "المقتدر" إلى بلاد البلغار في الفولجا (تطلق عند العرب على بلاد الصقالبة الروس، وعلى عاصمتهم التي تقع شرقي نهر الفولجا). كما وصف البيروني بلاد (الإفرنج) وهم النرويج والإسكندنافيون، ووصف (بحر الثلج) وهو القطب الشمالي، كما عرفوا "بلاد ألغال" وهي فرنسا. وقد عثُر حديثاً على عملات إسلامية في كل من روسيا وإسكندنافيا تعود إلى العصر العباسي.

في عام بعد إن سقطت روما بحوالي 120 سنة هاجر الرسول محمد عليه السلام من مكة إلى المدينة ليبدأ في نشر رسالته وليحدد لنا بداية لتاريخنا الهجري الذي نميز به فترة المسلمين عن غيرهم من الفترات التاريخية السابقة. فقد كان لظهور الإسلام وانتشاره ولنشاط المسلمين التجاري أثر كبير في تطور المعرفة الجغرافية والكشف الجغرافي . فاشتغل المسلمين بالتجارة في المحيط الهندي وشرق

## المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية/ جامعة واسط

أفريقية والبحر الأبيض المتوسط وفي الأندلس كان له أثر كبير في اتساع علمهم بالعالم القديم . وبهدف مناقشة موضوع البحث تم تناوله كالاتي :

أولاً: الاتجاهات الجغرافية لكشوفات المسلمين ومساهماتهم في المعرفة الجغرافية :

1- ناحية الشرق الأقصى فقد ازدادت اتصالاتهم التجارية بالمالك التي تقع في هذه الجهات فوصلوا إلى الصين والهند وإيران كما كانوا أول من استطاعوا معرفة قارة آسيا بمعنى الكلمة فالاسكندر الأكبر استطاع فقط الوصول إلى سيرا داريا بينما تمكن المسلمون من ان يعبروا جبال تيان شان ويتوغلوا منات الأميال شرقها ولذلك ففي الفترة ما بين 705 و 714 م وقعت كل مدن وسط اسيا كبخارى وسمر قند وفر غانة وكشجار تحت نفوذهم هذا واول اشارة لوصول المسلمين للصين هي قصة التاجر سليمان الذي قام بعدد من الرحلات الى الهند والصين وذلك في منتصف القرن التاسع الميلادي(1)

2- يرجع الى المسلمين الفضل في انهم اول من استطاعوا التوغل في الأراضي السودانية التي تقع الى الجنوب من نطاق الصحراء الكبرى حيث اقاموا صلات تجارية هناك منذ عام 1076م , كما انهم اول رواد في منطقة ساحل ناتال ذلك بالإضافة الى انهم اكتشفوا مدغشقر

3- كان للعرب ايضا قصب السبق في محاولة اختراق مناطق الإستبس الأوربية فعن طريق النشاط التجاري تمكنوا من الوصول الى الأراضي الروسية والبولندية.

هذا وقد كانت اهم الطرق التجارية في الإمبراطورية الإسلامية في ذلك الوقت هي التي كانت تبدأ من مدينتي بغداد والبصرة وتتبع نهري دجلة والفرات الى الخليج المسلمين ي ومن ثم الى الهند والصين وذلك بالإضافة الى طريق فرعي اخر كان يتجه من العراق الى ساحل أفريقية الشرقي وموانئ البحر الأحمر.

الى جانب هذا الطريق البحري كان هناك طرق القوافل التي تربط وسط آسيا والصين بالعراق. فعلى الرغم من ان التجار المسلمين فضلوا في طريق عودتهم من الهند الطريق البحري الا انهم في بعض الأحيان استخدموا احد طريقين احدهما يبدأ من مصب السند الى بلوخستان والآخر من اقليم البنجاب الى كابول. ذلك بالإضافة الى طريق القوافل الذي يتبع الحدود الشمالية للإمبراطورية الإسلامية والذي كان يسير من سمر قند الى بحر ارال و ثم بحر قزوين الى دربند فالحوض الأدنى لنهر الفلجا، كما كان يخرج من استرباد على بحر قزوين طريق آخر يتجه الى دجوروان على بحر ارال ومن ثم الى بلاد القرغيز في جنوب روسيا والتي كان ملكها على اتصال بكل من مدينتي القسطنطينية وقرطاجنة في خلال القرن العاشر الميلادي.

ثانياً:- اسباب تطور الكشوفات الجغرافية للمدة 753- 775 م :

## المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية/ جامعة واسط

في عهد الخليفة المنصور 753-775م بدأت الجغرافيا تحتل مركزا مرموقا بين الدراسات المسلمين  
ية وكان ذلك نتيجة لعدة من الأسباب:

1- إن المسلمين بدأوا يستخدمون في كتاباتهم الكثير من المعلومات التي جمعها رحالة المسلمين  
وقوادهم وحكامهم وتجارهم عن المناطق التي زاروها او فتحوها و حملوا التجارة اليها  
2- ان المسلمين اعطوا لانفسهم الحرية الكاملة لاقتباس نتائج وطرق ابحاث الذين سبقوهم سواء  
اكانوا من اليونانيين او الهنود او غيرهم. ولذلك فمع بداية القرن التاسع الميلادي تظهر اول مدرسة  
جغرافية عربية بمعنى الكلمة في عهد الخليفة المأمون حيث تبدأ في ذلك العصر ترجمة أبحاث كل من  
بطليموس وأرسطو الى اللغة المسلمين ية.

لقد أسهم المسلمون طوال القرون الوسطى مساهمة كبيرة وفعالة في تطوير علم الخرائط وفنون  
صناعاتها , متأثرين بما وصل اليه الإغريق من تقدم في هذا الميدان فهم قد دفعوا هذا العالم الى الامام  
بخطوات كبيرة وسريعة ويرجع الفضل في ذلك الى التوسع الإسلامي وانشاء الإمبراطوريات المسلمين ية  
التي امتدت ممتلكاتها وشملت إرجاء كبيرة من المعمورة .

وقبل ان ندخل في تفاصيل تاريخ هذه الفترة الذهبية : لابد لنا من ذكر بعض الشيء عن مدى  
مساهمة المسلمين الاوائل في ميدان الخرائط .

لم يترك لنا عرب الجاهلية اثارا نهدي بها للتعرف على مدى مساهمتهم في علم الخرائط , بل ربما لم  
يعملوا شيئا في هذا الميدان . وان صح هذا فلم كثير من العذر, إذ أن بينتهم الجغرافية البسيطة في ارض  
شبة الجزيرة المسلمين ية الخالية من تعدد وتنوع الظاهرات الجغرافية , بالاضافة لبعدها عن مركز  
الحضارات القديمة في كل من مصر والعراق حيث تفصلها عنها الصحاري والقفار الواسعة كل ذلك جعل  
عرب الجاهلية متأخرين ومتخلفين عن الاقوام التي سبقتهم في ميدان الخرائط .

ومع كل هذا , فقد كان عرب الجزيرة يتجولون في بواديها ويرحلون الى بلاد اليمن والشام بقصد  
التجارة . فكان دليلهم الوحيد في ترحالهم وتجوالمهم , الشمس والقمر والنجوم , يهتدون بها لمعرفة وجهة  
سيرهم الصحيحة . فقد عرف هؤلاء بقوة ملاحظتهم لهذه الظاهرات الفلكية , ونتيجة لتجارتهم تحت سماء  
صافية طوال العام , عرفوا توقيت ساعات الليل . كما انهم راقبوا حركات سير القمر وفطنوا الى علاقته  
بالمجموعة النجمية التي حددوا منازلها وقدروها بثمانى وعشرين منزلا , أطلقوا عليها ((منازل القمر)).  
ولقد راقبوا كذلك طلوع ومغيب نجوم معينة واستدلوا بواسطتها على تحديد فصول السنة الزراعية .  
وكانوا يطلقون على هذه الظاهرة (النوء) وجمعها (أنواء) . أما بالنسبة لمواقع المدن والظاهرات  
الجغرافية الأخرى من جبال ووديان ويناابيع فيمكننا الاستدلال على مواقعها من أشعارهم وقصصهم .

والذي نعرفه عن عرب جنوب الجزيرة انهم وصلوا الى شرق افريقية بالطرق البحري , وهذا يوحي لنا بانهم كانوا يملكون خرائط ومعلومات عن البحار والرياح السائدة في كل فصل من فصول السنة , في البحر المسلمين ي والمحيط الهندي . وبعد ظهور الاسلام وخروج المسلمين من ارض الجزيرة واتساع رقعة الخلافة , ظهرت عوامل جديدة دفعت المسلمين الى الاهتمام بدراسة الظواهر الجغرافية والأسباب في وصفها ورسم مصورات وخرائط لها .

### ثالثاً: العوامل المساعدة على دراسة الظواهر الجغرافية:

إن أهم هذه العوامل هي:

- 1: فرض النظام الإداري الإسلامي الجديد جمع الضرائب والخراج ,وتطالب هذا جمع المعلومات الدقيقة عن تقسيم الولايات والأماكن المأهولة بالسكان , والمحاصيل الزراعية والصناعية وتقدير الخراج والضرائب العينية والنقدية(2) .
- 2: تطالب النظام الإداري المركزي فتح وبناء طرق جديدة مع بيانات وافية لوصف هذه الطرق وتعداد المراحل وتحديد المسافات وظروف السفر
- 3: ساعد اتساع رقعة الخلافة ونشر الأمن والطمأنينة على نشاط الحركة التجارية في البر والبحر بين مختلف البلدان التي كانت تحت سيطرة كل من دمشق وبغداد ,بل أنها تجاوزت حدود الإمبراطورية الإسلامية فشملت شرق وأوسط افريقية وشمال شرق أوروبا وجنوب شرق آسيا .
- 4: شجع العامل الديني على تنشيط حركة الأسفار حيث جعل حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا فريضة واجبة على كل مسلم.
- 5: شجع الإسلام طلب العلم ((اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)) فاخذ الكثير من الناس يتركون أوطانهم ويرحلون طلبا للعلم والمعرفة.
- 6: كان لتحديد بداية الصوم ونهايته ومواقيت الصلوات الخمس، الفضل في دراسة الفلك و الرياضيات، فصنعت لهذا الغرض الساعات الشمسية التي يتطلب رسمها وتخطيطها معرفة بخط عرض المكان والعمليات الحسابية الخاصة بتحديد ظل المزولة في كل يوم. كما كان تحديد اتجاه القبلة لغرض الصلوات وبناء المساجد واختلافه من مكان إلى آخر جعلهم يتعلمون طرق معرفة خط طول وعرض كل نقطة على سطح الأرض.
- 7- تشجيع اهتمام أكثر الخلفاء بالعلم والعلماء على البحث والترجمة، وخاصة ترجمة الكتب الإغريقية في الجغرافيا وغيرها من العلوم المختلفة.

## المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية/ جامعة واسط

ان هذه العوامل بالإضافة الى الإمكانيات المادية لدى الحكومات والأفراد عملت جميعها على الإهتمام بالعلوم الجغرافية ورسم الخرائط على اسس رياضية صحيحة.

وأول خريطة ذكرت لما عرفتها عند المسلمين كانت الخريطة التي امر بصنعها الحجاج بن يوسف الثقفي عام(89-708 م) عندما امر القائد قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح بلاد ماوراء النهر ان يرسل له صورة عن المنطقة التي طال حصارها، وبعد استلام الحجاج الصورة ارسل لقائده تعليمات (إستراتيجية) استنادا الى المعلومات الموضحة في تلك الصورة.

وفي بداية اهتمام المسلمين في معرفة انحاء المعمورة كثرت الحكايات والأساطير والتمثيلات عن جغرافية الأرض فقد عثر على ووصف تخطيطي للعالم ينسب الى عبد الله بن عمر بن العاص فاتح مصر جاء فيه ((صورت الدنيا على خمسة اجزاء كبيرة كراس الطير والجناحين والذنب،فأرأس الدنيا الصين وخلف الصين الصين اما يقال لها (واق واق) ووراء واق واق من الأمم مالا يحصيها الا الله،والجنح الأيمن الهند وخلف الهند البحر وليس خلفه خلق .

والجنح الأيسر الخزر وخلف الخزر امتان يقال لإحدهما منشك وماشك وخلف ماشك ومنشك ياجوج وماجوج من الأمم لايعلمها الا الله وصدر الدنيا مكة والعراق والحجاز والشام ومصر .والذنب من ذات الحمام الى المغرب وشر مافي الطير الذنب. وبقيت هذه الرواية رانجة في مصر حتى زمن المقريري وبالرغم من خيال القصة فهي لا تخلو من حقيقة لمواقع البلدان التي تحيط بصدر الدنيا (البلاد الإسلامية).

وفي بداية العصر العباسي ,ونتيجة للعوامل التي ذكرناها بدا الاهتمام يزداد لصنع خرائط صحيحة تمثل سطح المعمورة وعليها الظاهرات الجغرافية بمواقعها الحقيقية ولتحقيق هذا الغرض كان لابد من حساب خط طول و عرض كل موقع من المواقع ولأجل ذلك زاد الاهتمام في عمل جداول لمواقع الأمكنة والتي تسمى بالزيجات .

وأول العلماء الذين اهتموا بوضع مثل هذه الجداول كان العالم الفلكي ((الفزاري )) عام 768م=170هـ وذلك في عهد الخليفة المنصور وجاء بعده الخوارزمي الذي وضع جداول جديدة في عهد الخليفة المأمون والتي كانت أكثر دقة من جداول الفزاري وبأمر من الخليفة المأمون صنعت جداول عرفت بالزيج المأموني الممتحن الذي قام به جماعة من علماء الفلك بعد عمليات الرصد التي أجريت في كل من بغداد عام (214هـ=829م) ودمشق عام (217 هـ=822 م). كما أجرى علماء عصر المأمون قياسا لطول الدرجة الواحدة من درجات العرض .فكانت تقل كيلو متر واحد بالنسبة لقياسات القرن التاسع عشر وذلك لعدم توفر الأجهزة الدقيقة .كما أجرى الفلكيون قياس درجة عرض محلة باب الطاق في بغداد فكانت 23 درجة و 20 دقيقة شمالا. وهذا الرقم مطابق للحقيقة والواقع .

## المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية/ جامعة واسط

ولصنع الخرائط على أساس خطوط الطول ودوائر العرض كان لابد من تعيين خط الطول المبدئي أو الأساسي (خط الصفر). فنرى ان الجغرافيين العرب بدأوا حسابهم على أساس حساب المذهب اليوناني الذي يعتبر خط الصفر يمر بأقصى سواحل أفريقية الغربية ثم يتجهون نحو الشرق الى درجة حساب المذهب 180 من المعمورة . وأحيانا بموجب حساب المذهب الهندي الذي تأثر به الخوارزمي والذي يعتبر خط الصفر (خط منتصف النهار ) هو الخط الذي يمر بجزيرة (لانكا) التي عرفها العرب باسم سد نديب وهي حاليا جزيرة (سيلان) ولقد زعم العرب بان هذه الجزيرة تقع على خط الاستواء وكانت النقطة التي يتقاطع فيها خط الاستواء مع خط منتصف النهار تسمى عند العرب ب(قبة الأرض) او (القبة) وهي تقع على ابعاد متساوية من الغرب والشرق والشمال والجنوب .

فحساب ابتداء الأطوال الجغرافية عند الهنود كان من جزيرة (لانكا) او من هذه القبة . وبحسب تصوراتهم كان خط زوال (لانكا) يمر على مدينة اوجيني (اجين) الحالية في أعمال مقاطعة (مالوا) بالهند الوسطى وفي صورتها العربية تحولت اجين إلى ارين نتيجة لنقص معهود في الكتاب العربية تحولت ازين الى (ارين) وسمى الخط خط الارين .

اما جزيرة لانكا (سرنديب) فنظرا لعدم احتفاظها باسمها الهندي عند العرب فقد تمت زحزحتها سهوا في اتجاه الغرب مستمرة على خط الاستواء بحيث أصبحت حسب تصوراتهم تحتل مكانا وسطا بين الهند والحبشة . ونتيجة لكل هذا فقد ثبت لدى العرب النظرية القائلة بان حساب الأطوال وفق المذهب الهندي يبدأ في خط زوال الارين. وظهر مصطلح قبة الارين بدلان من قبة الأرض وأصبح لفظ الارين بدلا من قبة الأرض كما أصبح هذا اللفظ (ارين) يعني المركز .

ومن أهم الآثار التي تركها لنا عصر المأمون، ذلك الأثر الجغرافي الهام وهو (الصورة المامونية) اي الخريطة المامونية التي لم يصلنا عملها بل رسمت مؤخرا استنادا الى وصفها الكامل في كثير من كتب المعاصرين لتلك الفترة ومن جاء بعدهم فلقد وصفهم المسعودي الذي ادعى بانه رآها بعينه حيث يقول ورأيت هذه الأقاليم مصورة غير كتاب بأنواع الاصباغ وأحسن ما رأيت في ذلك في كتاب (جغرافيا لمارينوس) وفي الصورة المامونية .

رابعاً: دوافع الكشوف الجغرافية في أوروبا في القرن الخامس عشر:

# المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية/ جامعة واسط

تتمثل هذه الدوافع بالآتي:

## 1- الدافع الاقتصادي:

كانت تجارة الشرق لا تصل أوروبا إلا بعد أن تمر بعدة احتكارات ترفع أسعارها، وتجعلها في بعض الأحيان نادرة، لذا أراد البرتغاليون والأسبان التخلص من احتكار البنادقة، وتوجيه ضربة للدولة الإسلامية المسيطرة على الطرق.

## 2 - الدافع السياسي والديني:

إن أطماع الحكومات الأوروبية في السيطرة وزيادة النفوذ وامتلاك المستعمرات في الأماكن المكتشفة أدت إلى تنافس سياسي لاكتشاف مناطق جديدة استمر طيلة القرن السادس عشر، أما عن الدوافع الدينية فقد كان لها أيضاً دور في حركة الكشوف الجغرافية عند كل الدول الأوروبية، فقد سمع الأسبان عن بلاد يمكن أن تكون ميداناً للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية، والتوغل فيها عن طريق الدين، وكذلك كانت لهم أهداف انتقامية من المسلمين، ومن الدلائل على الطابع الديني أن الملاح كريستوفر كولومبوس كان يتحدث عن نوايا لاحتلال بيت المقدس<sup>(3)</sup>، وقد جعلت البرتغال شعارها في هذه المرحلة ضرب قوة المسلمين في غرب أفريقيا وشواطئ الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط وقد حازت حركة الكشوف على اهتمام بالغ من قبل البابوية.

## 3- الدافع الثقافي:

لقد لعبت الروح الثقافية التي كانت من أهم مظاهر عصر النهضة بل والرائدة له درواً رئيسياً في تنبيه الأذهان الأوروبية وتحرير العول من نير الهيمنة الكنسية التي كانت تحرم الاشتغال أو البحث أو حتى التفكير فيما هو جديد من مختلف مجالات العلوم كالجغرافيا والفلك وعلوم البحار وفي غضون القورن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادي، وتأثراً بحركة النهضة خصوصاً عند انتقال علماء دولة الروم الشرقية بعد سقوط بيزنطة على يد العثمانيين 1453م مما سمح للغرب بالاطلاع على تراث اليونان القديم وترجمة كتب بطليموس الى اليونانية والتي كان يصر فيها على ان العالم مستدير وطبعت صور العالم واخذ بعض علماء اوروبا وشبابها في الاعتقاد بكروية الأرض.

وكان الأوروبيون يقرأون كتابات ماركو بولو وهو اول اوروبى توجه شرقاً نحو اقاليم واسعة كانت مجهولة وصاحبه عدد من افراد اسرته واستمرت رحلتهم 24 عام (1271-1295) وقد مضى من شواطئ اسيا الصغرى الى قلب الصين ومن بلاد المغول واليابان الى سيام وكوشنشين وسومطرة وميلان وبلاد الهند وفارس وقد وضع ماركو بولو بعد عودته الى البندقية كتابا باللغة الفرنسية اسماه "العجائب Liver des Merveiles" وسرعان ما ترجم الى الايطالية واللاتينية وقد جعلت رحلة ماركو بولو ان الكرة الأرضية تختلف كلياً عما تصوره الأولون وهكذا اسهمت هذه الرحلة فى توسيع افاق المعرفة الانسانية بصورة لم يسبق لها مثيل، ثم تتابعت بعد ذلك رحلات الكثيرين من الأوروبيين الى بلاد المشرق (تحت شعار)

## المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية/ جامعة واسط

واثبتوا صحة ما اقله ماركو بولو فقد قال وهو على فراش الموت "لم اكتب الا نصف ما رأيت وبذلك عاد الملاحين الى فكرة الاغريق القديمة ان الانسان يمكن ان يتجه الى الشرق اذا اتجه الى الغرب من الشواطئ الأوروبية الغربية، وبالإضافة الى تقدم المعلومات الجغرافية وارتقاء فن الملاحة مع تقدم صناعة السفن واستخدام البوصلة البحرية و آلة الاسطرلاب ومعرفة الدفة المتحركة لعبور البحار مما شجع الملاحين على توسيع نطاق الملاحة وبناء السفن الكبيرة القوية للقيام بالرحلات البعيدة واقتحام مجاهل البحار والبلدان، اضع الى ذلك استخدام البارود الذي سرعان ما جعل من الممكن القضاء بسهولة على مقاومة الأهالي والسكان الأصليين في البلدان التي قصدها المغامرون.

أ - الكشوف أسبانية:

تمكن الأسبانيون بواسطة القبطان "كريستوفر كولمبس" من الوصول إلى إحدى جزر البهاما في البحر الكاريبي، حيث أطلق عليها اسم "سان سلفادور"، وغادر الجزيرة ليمر على كوبا وهايتي، حاملا معه أنواعا من الطيور والحيوانات والحاصلات الزراعية وعديدا من الهنود من سكان أمريكا الوسطى. وتمكن الأسبان أيضا، بواسطة الملاح ماجلان، اجتياز الطرف الجنوبي من أمريكا الجنوبية، ليصل من هناك إلى المحيط الهادي، ومن ثم إلى جزر الفلبين<sup>(4)</sup>...

ب - كشوف فرنسية:

كما قام الفرنسيون بعد ذلك، بالحقاق مركب الكشوف الجغرافية، فاتجه ملاحوها إلى أمريكا الشمالية، حيث أسسوا في كندا مدينتي "كويبك" و"مونتريال".

ج - كشوف إنجليزية:

وحققت إنجلترا إنجازات مهمة في حركة الكشوف، حيث تحركوا في اتجاه أمريكا الشمالية وأمريكا الوسطى، وأنشئوا شركة الهند الشرقي-الإنجليزية، التي سهلت لهم بسط سيطرتهم على الهند.

د - الكشوف البرتغالية:

تعتبر البرتغال أول دولة قامت بالكشوف، وحققت نتائج هامة على هذا الصعيد، وقد ساعدها على النجاح في هذا الأمر مجموعة من العوامل من أهمها، وجود السفن المتطورة، وجود أجهزة حديثة مثل البوصلة، زيادة الاهتمام بعلم الجغرافية والاستفادة من كل تراث المسلمين سواء على صعيد الكتب الجغرافية والخرائط.

## المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية/ جامعة واسط

### 1 - الأمير هنري الملاح (1394-1460):

الأمير هنري هو الابن الثالث لملك البرتغال يوحنا الأول، وكان هنري متعصباً للكاثوليكية، واهتم بالجغرافية والفلك وتطوير السفن، واستولى الأمي هنري على مدينة سبته في المغرب سنة 1415<sup>(5)</sup>، وعينه أبوه حاكماً عليها، وحاول الاستيلاء على مدينة طنجة، لكنه فشل بسبب دفاع المجاهدين عنها، وبعد ذلك توجه للشواطئ الأطلسية، وسيطر على المناطق الواقعة بين نهر السنغال وغانا، واهتم بنشر المسيحية هناك، وتمويل مشروعاته الاستعمارية عمل على التجارة بالرقيق الأفارقة. اهتم هنري بإقامة علاقات جيدة مع القديس يوحنا حاكم الحبشة المسيحي ذو الشخصية الأسطورية؛ والذي يعتبر الأوروبيون مملكته حصناً للمسيحية في قلب أفريقيا، وكان هنري يستهدف من وراء هذه العلاقة الوصول إلى البحر الأحمر، ومن ثم الوصول إلى الشرق الأقصى بعيداً عن الطرق التجارية القديمة وأخطارها.

نجح هنري في اكتشاف جزر ماديبيرا وكناري ويزرو على الساحل الغربي لإفريقيا، وهبط على أراضيها، واستغل غاباتها، وأقام على السواحل العديد من النقاط العسكرية الحصينة على طول الساحل. وتمكن البرتغاليون بعد هنري الملاح من الوصول إلى مصب نهر الكونجو، وأصبحوا يحتكرون الملاحة على الساحل الإفريقي الغربي، ولم يُسمح للآخرين بالملاحة في المنطقة إلا بأذن البرتغاليين، لكن تعطلت جهود البرتغاليين في الكشف الجغرافية بسبب قيام الحرب بين الأسبان والبرتغاليين بين عامي 1475 إلى 1479، وكذلك ما حدث من اضطرابات داخلية أوقفت الحملات الكشفية، لكن البرتغاليين عادوا للكشف الجغرافية عام 1487 عندما أرسل الملك يوحنا الثاني بعثة كشفية يرأسها الملاح المعروف بارتلميو دياز.

### 2 - بارتلميو دياز:

كان الهدف من رحلته هو الدوران حول إفريقيا بقصد الوصول إلى الهند، ونجح في الوصول إلى أقصى جنوب القارة رغم العواصف الشديدة، وسماه خليج الزوابع، ثم عاد إلى البرتغال يبشر بانفتاح الطريق إلى الهند، ولهذا أطلق الملك على الخليج "رأس الرجاء الصالح"، لأنه بعث الأمل في إمكانية الوصول إلى الهند.

وفي هذا الوقت كانت إسبانيا قد أرسلت الرحالة الجنوبي كريستوفر كولومبوس سنة 1492 غرباً بقصد الوصول إلى الهند، وتسارعت كل من إسبانيا والبرتغال على تأمين حقوقهما في الأراضي الجديدة، والطرق والثروات، وقد تدخل البابا الإسكندر السادس للفصل بينهما، وحكم بأن تُقسّم الأرض فيما بينهما.

### 3 - فاسكو داجاما:

تمكن فاسكو داجاما من الدوران حول جنوبي إفريقيا، ووصل إلى ساحلها الشرقي قرب "موزمبيق"،

وهناك تعرف إلى الملاح العربي "أحمد بن ماجد" الذي أرشده إلى طريق الهند، وصل فاسكو داجاما إلى الهند وعاد سنة 1499 إلى بلاده، وسفنه محملة بالتوابل الشرقية، وبذلك تحقق لبرتغال كشف طريق بحري مباشر إلى الهند، وكان هذا الكشف ضربة اقتصادية للأمة الإسلامية؛ خصوصاً مصر المملوكية، وللمراكز التجارية في حوض المتوسط مثل المدن الإيطالية(6).

وقد عمل البرتغاليون على محاربة هذه الدول في البحر الأحمر، وفي الهند عمل البرتغاليون على امتلاك أجزاء من الساحل، ووضعوا فيها قواتهم البحرية والبرية ليخضعوا أمراء المسلمين في الهند، ويجبرونهم على توقيع معاهدات تمنعهم من التجارة مع غير البرتغاليين، وقد استصرخ حكام الهند المسلمين أمراء المسلمين في العالم، فهب المماليك لنجدتهم لكنهم هُزموا في معركة ديو البحرية سنة 1509.

#### 4 - البوكيرك والإمبراطورية:

واصل البرتغاليون التوسع، وتمكن ألفونسو البوكيرك من الاستيلاء على مضيق هرمز 1509، وعلى جزيرة سوقطرة عند مدخل البحر الأحمر، ثم استولى على جزيرة ملقا قرب سنغافورة سنة 1511، وأصبح البوكيرك أول حاكم على المناطق الساحلية التي احتلها البرتغاليون في الهند.

وبعد سنة 1516 تصدى العثمانيون للبرتغاليين، لكن البرتغاليين واصلوا توسعهم نحو الشرق الأقصى واستولوا على الملايو، وبلغ نشاطهم ساحل الصين، وهكذا تطورت فكرة البرتغاليين من فكرة كشف الطريق البحري المباشر إلى الهند إلى احتلال الأراضي وتكوين إمبراطورية في أفريقيا وآسيا.

#### خامساً: نتائج الكشوف الجغرافية:

لقد أدت الكشوفات الجغرافية إلى نتائج مهمة علمية واقتصادية واجتماعية وكالاتي :

1 - القضاء على الأزمات الاقتصادية التي كانت تعاني منها أوروبا في ذلك الوقت وقلبت رأساً على عقب المقاييس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية. فقد انتعشت طبقة البرجوازية التجارية التي عملت على هدم ما تبقى من النظم الإقطاعية وامتيازات النبلاء واتضح ذلك فيما بعد بقيام الثورة الفرنسية سنة



- 1 - على الجهات الإعلامية في وسائلهم المرئية والسمعية توضيح الأبعاد العلمية والمعرفية لدور المسلمين في الكشوفات الجغرافية وانجازاتهم العلمية في هذا الجانب
- 2 - على وزارة السياحة والآثار احتضان وإبراز تراث المسلمين في حقل الكشوفات الجغرافية لتوضيح ذلك إلى العالم الغربي لما أنجز من قبل المستكشفين المسلمين.
- 3 - تضمين المناهج الدراسية وفي مختلف المراحل الدراسية مفردات توضّح الإنجازات المعرفية والعلمية للمسلمين في حقل الكشوفات الجغرافية.

## المصادر

- 1 - احمد نجم الدين فليجة، الجغرافيا والخرائط العملية، الطبعة الثالثة ، 1976 ص32
- 2 - نفس المصدر ص50
- 3 - د. يسرى عبد الرزاق الجوهري ، الفكر الجغرافي والكشوفات الجغرافية، مصدر سابق ،ص7
- 4 - د. إبراهيم أحمد العدوي،أبن بطوطة في العالم الإسلامي ، دار المعارف بمصر، القاهرة، بدون سنة الطبع، ص 55
- 5 - جاد طه، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث، الطبعة الأولى ، جامعة عين شمس ، 1997 ص 34
- 6 - عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحـرب العالمـية الأولى، دار الفكر العربي، 1999.
- 7 - عبد الفتاح حسن أبو عليّة، تاريخ أوروبا وأمريكا الحديث، دار المريخ، الرياض، 1979، ص132